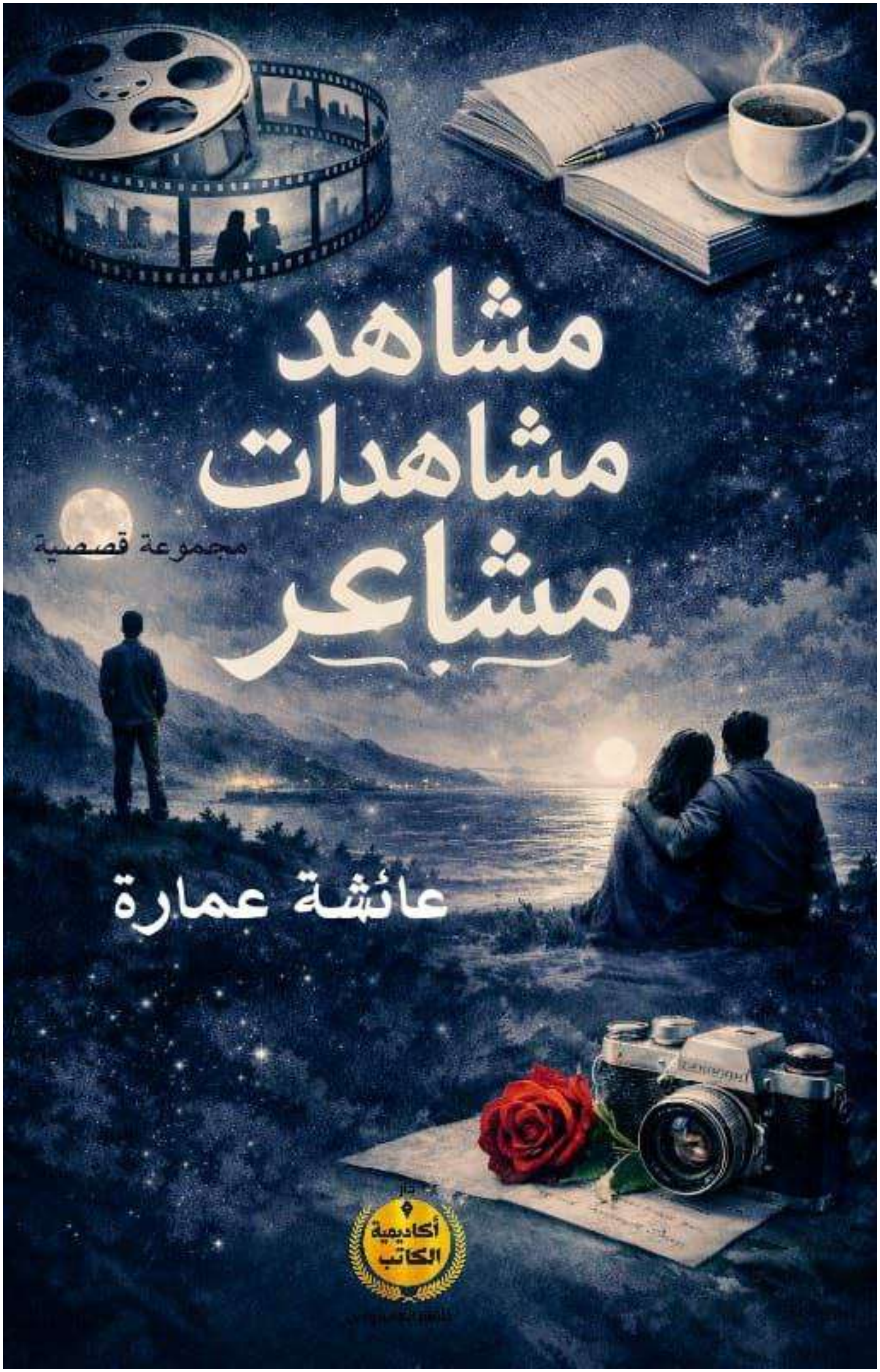
مشاهد
مشاهدات
مشاعر
مجموعة قصصية
عائشة عمارة
أكاديمية الكاتب

# مشاهد ومشاهدات

## مجموعة قصصية

عائشة عمارة

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: مشاهد مشاهدات مشاعر

المؤلف: عائشة عمارة

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تصميم غلاف: عائشة عمارة

المقاس ١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 260103-1-8-60

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

**Email:**alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

**إهداء**

**أحمد عز**

**شريك حياتي**

**وإلى ورشة صناعة الكاتب الروائي**

**الكاتب محمود كمال**

**الكاتب محمد حسن**

**وشريكتي في عقاب الكتابة**

**الكاتبة مريم بيومي**

**الحياة ما هي إلا مشاهد،**

**بعضها منفصل والآخر متصل،**

**لكن يربط بينهم دائماً رابط خفي يجعلك شبه كل شيء ولا تشبه شيئاً.**

## مشهد خارجي ١

بيوت متهالكة تشعرك بالفقر المضجع لو نظرت إليها من أعلى، لكن كلما اقتربت أكثر وأمعنت التفاصيل تجد حنينًا وألفة غير عادية، شعور بالأمان والانتماء يجذبك كالمغناطيس، ربما لرائحة طعام متصاعد من أحد النوافذ، أو لرائحة كولونيا معتقة تحيي في داخلك ذكريات طفولة أو مشهد لأحدهم ترى في ملامحه شقاء عمر قد مضى، كتلك العجوز التي فتحت شرفتها للتو مرتدية جلبابها الأسود ورابطة الشعر التي لا تختلف عن الجلباب شيئًا، ترى العمر قد أكل من جسدها ما أكل تاركًا تجاعيدها كبصمة زمنية منه على مروره عليها، تسحب كرسيًا في هدوء وتستند على سور شرفتها وتجلس لتسرح في خيال لا يعلمه أحد سواها، لا أعتقد أنها تتابع المارة كباقي من يجلسون في الشرفات، فهي لم تنظر إلى الشارع قط، بل نظرت في مستوى نظرها الطبيعي فلا يوجد أمامها سوى شباك مغلق قديم واضح عليه أنه لم يُفتح منذ زمن، ترى هل كان لشخص تعرفه؟ تشتاق إليه؟ تتذكره؟

أنها بمفردها في الشقة ولكن بيدها اليسرى دبلة قديمة، إذاً فهي أرملة.

تعيش بمفردها ولكن أين أبناؤها؟ من المفترض أن تكون تلك العجوز جدةً يلهو حولها أحفادها، فلم هي بمفردها؟ يكتسي الحزن وجهها، ولا ترفع عينيها عن ذلك الشباك القديم.

كم أود أن أسألها عن قصتها... سأفعل.

صعدت ذلك السلم القابل للسقوط ووصلت أمام شقتها وطرقت الباب، وبعد ٥ دقائق فتحت:

-السلام عليكم.

-وعليكم السلام يا ابني، عاوز مين؟

- أنا جايلك يا حاجة، أسألك لو محتاجة حاجة.

_ اتفضل يا ابني.

دخلت الشقة، وجدتها قديمة لكنها نظيفة ومرتبة، يتصاعد منها رائحة الشقق العتيقة المليئة بالذكريات في كل مكان. هناك صور معلقة على الحائط؛ بينها صور للعجوز في شبابها وهي

عروس مع زوجها، وصور لهم مع أبنائهم، غالبًا ٣ أولاد وبنتين، وصورة لابن بنتهم عليها شارة سوداء، وكذلك صورة الزوج وصور زواج الأبناء وصور لهم مع أبنائهم.

إنها تمتلك عائلة كبيرة، أين هم؟

أجلستني في الصالون المذهب وقدمت لي شاي بالنعناع تزرعه في شرفتها، وجلست أمامي قائلة:

_ كتر خيرك يا ابني أنك خبطت بابي.

- على إيه بس يا أمي، أنا نسيت أعرفك بنفسي...

_ مش فارق معايا أنت مين، كفاية أنك فكرت تسأل على واحدة عجوزة زيي ملهاش حد.

-إزاي ملكيش حد يا أمي؟ الصور دي بتقول إن عندك عايلة، بسم الله ما شاء الله كبيرة.

_هاجروا. كل واحد خد مراته وعياله وسافر بلد شكل، وبطلوا ينزلوا، حتى خلاص مبقاش في حاجة ليهم هنا.

-ليهم أنتِ؟

_قبل ما الحال يضيق على الكل، والسفر يبقى الحل علشان يعرفوا يعيشوا هما وعيالهم كويس، أنا مش معترضة، بس كان نفسي حد يخبط عليا ويسألني عاملة إيه؟ زي ما أنت عملت.

-وأنا معاكِ في أي وقت محتاجة حاجة، رقمي أهو، اتصلي عليا هتلاقيني عندك.

_لا يا ابني، هو طلب واحد.

صمتت لبرهة قبل أن تكمل

-كل ما تشوف نفسك فاضي عدّي عليا، شوفني عايشة ولا قابلت وجه كريم... أنا خايفة أموت لوحدي.

-بعد الشر عليكِ، بلاش الكلام دا.

_دا مش شر، دا راحة، وحقيقة، ويمكن دا الحقيقة الوحيدة في الدنيا كلها، بس أمانة عليك ابقى اسأل عليا.

-حاضر. أستأذن أنا بقى، وهاجيلك تاني.

خرجت من شقتها وبداخلي ألف سؤال أكثر مما كان في رأسي قبل الدخول، لكن لم يهمّني فيها سوى سؤال واحد كيف يمكن أن يترك أبناؤها أمهم وحدها إلى هذه الدرجة؟ مهما كان السبب؟

العلاقات الإنسانية عموماً قد يكون لها إطار أو دائرة تمر من خلالها وتنتهي، إلا علاقة الأم وأبنائها، علاقة بدأت بقطع الحبل السري لتستمر للممات.

من أين أتوا بهذا الجحود؟ ألا يخشون عليها من المرض والموت؟ خلال كل ذلك التفكير، سقطت من عيني دمعة هاربة من شحنة الغضب العارمة بداخلي، حاولت تداركها سريعاً لكني لم أستطع.

عدت لعملي وحياتي لكني أصبحت أتعمّد أن أمرّ من ذلك الشارع في نفس الميعاد، أراقبها وهي تجلس في الشرفة، كنت أظن أنها لا تراني حتى كشفتني في يوم واتصلت بي قائلة:

- تأخرت النهارده ١٠ دقايق يا ابني، خير؟ كان في حاجة؟

وجدت نفسي أبتسم ابتسامة عريضة وأرد عليها:

- أنتِ بتحسبيها يا أمي بالدقيقة؟ أنتِ بتشوفيني إزاي أصلاً؟ أنا بكون في آخر الشارع.

- قلب الأم يا ابني يشوفك لو في آخر الدنيا، أنا كنت بطمن عليك أشوفك على خير.

وأغلقت معي، وكانت تلك آخر مرة أسمع صوتها وأراها.

لقد ارتاحت من وحدتها، وتركتني معلقاً في ذكراها. أمر تحت شرفتها يومياً أدعو لها بالرحمة، وأشعر بحنان كلامها يطيب خاطري كل مرة أحزن فيها على فراقها.

# على الهامش

## مات الأمام

قارب الفجر على الوصول، السماء صافية أكثر من المعتاد، القمر بدراً في تمامه يقف كاملاً فوق مئذنة المسجد، تشعر أنه ينتظر الأذان مثلنا ليصلي، تشعر به لوحة مرسومة من خيال مبدع لتكتمل على صوت طير يجري في هدوء الشارع، تسمع حفيف الهواء بين خطاه، إنه الديك الخاص بزوجته أمام المسجد، نعلمه جميعاً للونه المميز أولاً و لوجوده في محيط المسجد ثانياً، لكنه اليوم خرج في غير وقته ويتجه للمسجد بسرعة، إنه يطير بخفة لم أكن يوماً لأراها، لقد اعتلى القبة ويتنقل بقدميه بين فراغات أجهزة الميكروفونات ويقف على قمة المئذنة في ثبات تام، تشعره يقف على القمر أو ربما يكون القمر هالته هو، أخاف عليه من صوت الميكروفون لربما يرتجف ويسقط، لكن أين الإمام؟ لقد حان وقت الأذان، ما هذا؟ الديك يصيح بأعلى صوته كما لو كان يؤذن، ثم جاء صوت زوجة الإمام تصيح من بعيد

"لقد مات الإمام".

## مشهد داخلي

## فلاش باك

## يا ريتك

لم أجد ما أقوله لك، كم كنت أباً حنوناً ومتفهماً.

كنت صديقي ورفيقي وذِهري وسندي.

أحببت فيك كل شيء، تمنيت أن أكون مثلك يوماً، كم أنت رائع".

استفاق من خياله على صوت الصريخ المتصاعد من والده، ها هو كالعادة يصرخ بأعلى صوته في إخوته وأمه، ناعتاً إياهم بأبشع الألفاظ كعادته.

ترى لماذا غاضب هذه المرة؟ هل جاءه الشاي ناقص سكر، أم وجد ملابسه غير مهندمة؟ فهو ليس سوى شخص أناني، غاضب دائماً، يُعلن يومياً يوم زفافه من أمي وأبنائنا جميعاً.

لطالما تمنيت أن يكون ذلك الشخص الذي أستطيع أن أنعيه يوماً بتلك الرسالة المتكررة في خيالي، أن يكون ذلك الرجل الذي يتحدث كل من يعرفوه عنه، لكنهم لا يعرفون حقيقته مثلنا.

هو من أراد أن يكون سيئ الذكر بيننا وأن تكون رغبتنا دائماً عدم وجوده، وله ما أراد.

## مشهد خارجي داخلي

## بعد للقصف

بعد كل قصف من العدو أو عملية أقوم بها على جيوش العدو، أذهب إلى مكان بيتي القديم، والشارع الذي لم يبقَ منه سوى حطام لمبانٍ وذكريات إما لشهداء فارقونا، أو لمن غادروا لمحاولة النجاة بأطفالهم من القصف الذي لا يميز بين سن أو نوع أو جنس أو دين.

ها أنا أقف أمام بقايا منزلي، أرى رسومات حائط غرفتي أنا وأخوتي، صور لاعبين الكرة والمغنيين على الدهان الوردي المميز، فهي كانت غرفة لولدين و٣ بنات، أنا أوسطهم أو كنت. حالياً أنا الباقي. برغم كل ذلك لم يقتل ذلك الطفل الذي ظل عالقاً بداخلي، غير قادر على الخروج للعالم، برغم مرور السنوات من عمري، وتعلمي القتال وحمل السلاح للدفاع عن وطني المستباح المحتل، لأخذ ثأر كل شهيد من أهلي وأصدقائي استشهد دفاعاً عن قضية وطن نحن أصحابه، وباقي الدول تدعي أنهم شركاء لنا في الهم وهم ينعمون بالأمان والاستقرار، بل منهم من يبرم المعاهدات والصفقات مع محتلنا وقاتلنا، لن أتطرق لذلك الآن، فهذا ليس بمكانه أو وقته.

أنا أريد أن أتحدث عني، عن أحلامي التي أعلم أني لن أحققها يوماً، أريد أن أسجلها لعلها تبقى ذكرى مني لمن يقرأها بعدي. في طفولتي كان حلمي أن أصبح لاعب كرة قدم، لا أذكر هل كنت جيداً فيها أم لا؟ لكني كنت أحبها، كنت أحب أيضاً مشاهدتها على التلفاز، كنت أشجع ذلك الفريق المصري الذي يسمى (الأهلي) وإلى الآن أفرح بفوزه، لأنه يذكرني بآخر ما تبقى مني.

أما عن شبابي، أي الفترة الحالية، فكان حلمي أن أكون أسرة، أن يكون لدي أطفال كثر يحملون اسمي وصفاتي، يجرون حولي ويحملون نعشي، لكن من أين لي بتلك الفتاة التي تقبل مقاتلاً لا مسكن له ولا عمل؟ جميع أهله استشهدوا، وهو نفسه كل لحظة على حافة الشهادة.

وحتى إن وجدتها فأهلها لن يقبلوا، الحياة كلها لن تقبل، من سيقبل أن تعود ابنته أرملة مع أبنائها؟ والحياة هنا تحت خط الفقر بمسافة ألف كيلومتر.

أذكر أن أختي قالت لي ذات يوم قبل أن تستشهد بأيام: "أمي تبحث لنا عن طعام غداً، ونحن لا ندري هل سنعيش اليوم؟" لا تعبث يا قارئ مذكراتي، فهذا هو أسلوب تفكيرنا وحياتنا، وأنا سعيد بحياتي تلك حتى وإن كانت بائسة من وجهة نظر الكثير، فما تقرأه سيخلدني كما سيخلدني وطني عندما يتحرر، وسيتحرر. تلك العقيدة بداخلنا نؤمن بها عن قناعة تامة أنها ستتحقق؛ إنها وعد الله لنا، شاء من شاء وأبى من أبى.

# تحويجة عالهامش

أنا أحب التحويجة.

أتدري؟ نعم، أنا أحب التحويجة.

أَتَسأل لماذا؟ لأن كل شيء حولنا له تحويجة؛ الحياة لها تحويجة، والقصص والروايات لها تحويجة، حتى معشوقتي (القهوة) لها تحويجة.

لا تندهش، فأنا عرفت التحويجة منذ أن بدأ حبي للقراءة، وصنعتُ تحويجتي الخاصة بها، قرأتُ في كل شيء وعن كل شيء، وأصبحتُ أُشكِّل تحويجتي في الكتب كما يروق لي أنا، كما أتخيل.

أخذتُ فكرة عن كل شيء حتى بدأت أكتب ما أشعر به مهما كان وفي أي موضوع بتحويجتي الخاصة، ثم عرفت القهوة وأحببتها وصارت رفيقتي ومعشوقتي، وجرّبتُ أكثر من تحويجة فيها حتى اكتشفتُ تحويجتي المفضلة بها، وعلمتُ أن الحياة كلها تحويجة. لكني تعلمتُ أيضًا أنه ليس بالضرورة ما يعجبني يعجب غيري، فلكل منا ذوقه في تحويجته، وجميعنا صواب لأنها أذواق. وحتى ليس شرطًا أن تعجب أحدًا من الأساس، فأنا تربطني بتحويجتي أسرار وذكريات ومشاعر وأفكار لا يدركها سواي، وكذلك الآخرون. فلا يحق لي أن أحكم على أحد، ولا لأحد أن يحكم عليّ. فلولا اختلاف الآراء لبارت السلع، والله جعل في اختلافنا رحمة، وإلا لما لِمَ لم نُخلَق متشابهين؟

# مشهد خارجي

في محطة القطار، كانت تنتظره أن يلحق بها، ألا يتخلى عنها، أن يأتي ويحتضنها ويبلغها بمدى حبه لها وكيف لا يستطيع الحياة بدونها.

لكنه لم يأتِ.

فركبت القطار بكل خيبة الأمل والكسرة في قلبها، دموعها تسبقها لدرجة تمنعها من الرؤية، وكانت تدرك وجوده في المكان بقلبها قبل أن تراه عيناها.

أما هو، فلم يستطع أن يتخيل حياته بدونها، لحقها إلى محطة القطار دون تفكير أو تردد، ظل يبحث بين العيون عن عينيها، لكنه لم يجدها.

كان يعلم إلى أين ستهرب، وسمع صفير القطار قبل أن يتحرك، فصعد فيه وجلس يفكر: كيف سيقابلها ويبلغها بكل ما في داخله؟ كيف سيعلن لها مدى عشقه؟ كيف تخلى عن أي شيء لأنها بالنسبة له كل شيء؟ وتشاء الصدف أن يفكر كل منهما عكس الآخر كما يجلسان.

هل سيلتقيان في القطار أم عند الوصول؟ ليس مهم مكان اللقاء، المهم هو اللقاء نفسه.

# فلاش باك

منذ طفولتي وأنا ألاحظ جدي وهو يطعم الطيور كلما ضاقت به الظروف، سواء المادية أو الحياتية، وحتّى عندما تكون الأمور في حالتها الطبيعية كان يواظب على وضع الطعام والماء لهم.

فكنت أعتقد وأنا صغير أنّه يربيهم، ويرعاهم، ويعرفهم، مثل القصة المشهورة التي درستها في مادة التربية الدينية:

"أن امرأة دخلت الجنة لإطعامها قطة"، فكنت أظنّه يفعل ذلك مثلها، حتى أتى يوم وفاة جدتي واعتزل جدي الناس، إلا أنّه ظل يذهب يطعم الطيور ويبكي معهم، فذهبت إليه وسألته:

-"لماذا أتيت بنفسك لإطعامهم ولم تضع لهم الطعام والماء كعادتك؟"

فنظر إليّ وقال:

- "تلك الطيور تشعر بي وتواسيني في أحزاني، وتفرح لفرحي، إنهم شركائي في الحياة، أتدري أنهم من عرّفوني على جدتك رحمها الله؟"

- "كيف؟!!!"

- "أول مرة رأينا بعضنا البعض كانت تمرّ من هنا وأنا أطعم الطيور، فذهبت لأطلب يدها. أنت تعلم أنّه لم يكن في أيامنا التعارف مثلكم، المهم.. فسأل والدها عن العمل والشقة والمال وأنا لم أكن ميسوراً، لكنّه علم منها أنني أطعم الطيور يومياً، فسألني لماذا أفعل ذلك وأواظب عليه؟، فقلت له: 'من يرحم من في الأرض يرحمه من في السماء، وأن الله جعله رزقاً ليرزقهم طعامهم'." فردّ قائلاً: "من زرع الله في قلبه الرحمة سيكون رحيماً بابنتي" ووافق على زواجي من جدتك."

- "إنها أول مرة أسمع فيها هذه القصة يا جدي."

- "أعلم، حتى أبوك وأعمامك لا يعرفون، يظنون أنني أشعر بالفراغ والملل فأذهب وأطعم الطيور."

- "ولماذا يا جدي تأتي إلى الآن وتطعمهم تذكّراً لجدتي؟"

- "ومن قال أني أنساها، لكني آتي لأن الله سخّرني لأرزقهم وهو الرزّاق، ولأنهم يسبحون الله ويحمدونه، ألا يكفي هذا؟"

- "إنه يكفي ويزيد."

- "والآن أوصيك أن تكون وسيط الرزق لهم من بعدي، ليفتح الله عليك كل أبوابه من وسع، وليكونوا رحمة لك بينك وبين الله."

- "أعدك يا جدي أن أفعل."

**المشاعر بحاجة دائماً للتصوير**

**فلنأخذ مشاهد**

**للمشاعر**

## مشاعر ١

لم أرَ في حياتي نظرة خوف مثل تلك التي رأيتها في عيني تلك الفتاة الصغيرة التي أشاهدها على شاشة الأخبار.

كانت تقف بجوار ذلك الجدار العازل سجينة وسط الركام والأسلاك الشائكة، تصرخ بلا صوت مسموع، تبوح بمقلتيها بضعف وقلة حيلة لم أرَ مثلها في حياتي. تخيلتها تجلس في منزلها، منزلها الجميل المرتب الملون بالألوان الزاهية التي تشع حياة كعادة أهل تلك الأرض قبل الحرب، تجمعها الضحكات هي وإخوتها. أتخيل لها أخين كبيرين وفتاتين، وهي تكون هي أصغرهم، تلهو في المنزل بمرح عكس ذلك الخوف الواضح عليها، ربما كانت توبخها والدتها على عدم ترتيب غرفتها.

أراها تجري نحو الباب لتستقبل والدها وتأخذ منه الحلوى والفاكهة، أراها تضحك تنام بأمان وهي تحتضن لعبتها لتسمع صوت القصف يدوي خارج المنزل ليضرب بعض المنازل التي حولها.

تقفز من مكانها في السرير باحثة عن والدتها تحتضنها لعلها تشعر بالأمان، أراها تختبئ داخل أمها والأب يهرول لضم أسرته والهروب بحثًا عن النجاة في أرض وعد النجاة لها ليس بيدي بشر.

أراهم يسرعون الخطى خارج المنزل قبل أن يُقصف بلحظات ويتحول لركام، أرى نظرتها الباكية على غرفة كانت كل ما تملكه، على بيت بذكريات رحلت، لكني أشعر بيد أمها وهي تهدئ من روعها وتطَمئنها بأن سيكون هناك منزل جديد بعد انتهاء الحرب.

أراها ذاهبة في المخيم تبحث عن طعام، تبحث عن غطاء، لعله يكسبها بعض الدفء في تلك الليالي الباردة الممطرة، ليأتي القذف من جديد والترحال من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال بلا وجه آمن.

لكني أراها اليوم وحيدة، ربما استُشهد الجميع ليتركوها تجابه ذلك الجيش بأكمله.

إنها تصرخ لمن لا أعلم، من تنتظر ليناجي صريخها؟ بالتأكيد ليس أحدًا منا، فتلك الفتاة الصغيرة هي أقوى من الجميع وأضعف من الجميع.

هي شاهدة على الحدث والبشر، وستكون يومًا راوية تخبر العالم بأنه لا شيء، وتخبر الخالق بكل شيء.

## مشاعر ٢

هي قصتنا تنتهي بالفراق، لن نجتمع لا في البداية ولا النهاية.

لطالما تخيلت أنفسنا ونحن نجلس على طاولة الطعام في منزلنا، نضحك ونلعب ويأكل كل منا الآخر، بل تخيلتنا ونحن نرقص تحت المطر.

تخيلت الكثير والكثير من التفاصيل، حتى أني رأيتك وأنت تعطيني الدواء في كبري، ورأيت نفسي وأنا أداويك بكل الحب والحنان الموجود بداخلي حتى موتي.

ولكن ها نحن الآن نفترق تحت المطر الذي حلمت بالرقص تحته، وهو الآن يختلط بدموعي.

دموع فراق لم أفهم سببها يوماً، لكني كنت أهرب من يقيني أنه آتٍ لا محالة. لا تعنيني كل تلك الجمل التي قلتها لي قبل رحيلك، فأنا لا أفهم في ضرورة زواجك من ابنة عمك، ولا أفهم في أنك مغلوب على أمرك، ولا أفهم أنك ضعيف إلى هذا الحد، إلى الحد الذي لا تستطيع فيه أخذ قرار مع من ستكمل حياتك. لا أستطيع فهمها سوى أنك مرحب بذلك.

إن الطمع فيك ليس من والدك، أو ربما ممتد بينك وبينك جداً، طمع في أموال عمك فتسطو على ابنته.

كم أنت ندل حقير!

كنت أعلم أن النهاية ستكون الفراق، يومًا ما كنت أرى خوفك من علاقتك به ليس لسوء مني بل لضعف منك. كنت أتغاضى عن ضعفك ودنيتك حتى أظل في تلك العلاقة التي أكلت من عمري ظهرًا.

لن أوافق على أي مما قلت، سأعتبرك هجرت في بلاد لا يجمعني بها سوى الأحلام، سوى الكتب والقصص والروايات التي أعيش داخل عالمها، تاركًا عالم الطمع والمال الذي تحيا فيه لك ولعائلتك ولكل جشع مثلك. سأعيش في عالمي وسط رواياتي مع الشخص الذي أحببته ببراءة الطفولة وحب المراهقة، ذلك الشخص النقي الذي ظل معي لسنوات ثم قرر الهجرة.

سأتخيل نفسي وأنا أحضر له الطعام في منزلنا، وأنا أكوي ثيابه قبل مجيئه، وأنا أجهز المنزل وأعطره لاستقباله بين أحضاني.

سأعيش معه لحظات ضعفي وقوتي، صحتي ومرضي، سأناوله الدواء ببسمة حانية وقلب متضرع يدعو له بالشفاء.

سأبكي عليه عند موتنا ونحن عجائز نتكئ على بعضنا البعض.

سأفعل كل شيء يليق به، ليس بك، فلتذهب دون عودة، فأنت بالنسبة لي شخص مات وقبلت العزاء فيه.

**جربت تطلع الفضاء؟**

تحب تسافر للمستقبل و تشوف حياتك بعد ٣ سنين؟

لا. مش آلة زمن.

دي رحلة للفضاء لمدة أسبوعين داخل المكوك، لكن على الأرض

هتمر ٣ سنين.

لو حابب تحجز تواصل معنا.

كانت تلك هي صيغة الإعلان الذي رآه رامي عبر الانترنت، ظن في بداية الأمر أنه درب خيال أو أعلان لجمع المال أو شكل جديد للنصب، لكنه أعجب بالفكرة و ظلت تراوده لأيام مخاطباً نفسه

-ما اتواصل معاهم و نشوف الحوار لو حسيت أن فيه حاجة مش تمام بلاها.

ولم يسأل نفسه ماذا لو كان الاعلان جدي، هل سيوافق.

ظل لمدة يومان يبحث عنه مرة آخر حتى عثر عليه أخيراً وتواصل معهم

-اه يا فندم الإعلام حقيقي، حضرتك بتركب مكوك فضائي و تطلع برا الغلاف الجوي للأرض، وهنا الزمن بيختلف الاسبوعين في الفضاء بيعدوا على الأرض ٣ سنين.

-وبكام؟

سأل وهو ينتظر سماع رقم على الأقل مكون من خانات كثيرة ألا أن كلمة مجاناً صدمته و صمت أذنه، ظل غير مستوعب ما يقال بعدها سواء عن الجهة التي تدعم السفر أو الإجراءات أو أي شيء.

أغلق الخط بعد أن استكمل البيانات و حدد معاد المقابلة.

لكن ظل عقله مشغول هل يبلغ والده الذي تركه بعد وفاة والدته بشهر و تزوج من أخرى أم لا؟.

هو الآن بالغ من العمر أربعة و عشرون عام فلا يحتاج لموافقة أحد، لكن هل يعلمه بتلك الرحلة أم أن والده لن يشعر بغيابه فهو لا يسأل عنه سوى عبر الهاتف و تعد مرة كل شهرين أو ثلاث، وأصدقائه ماذا سيكون رد فعلهم؟ وسلمى؟!

قرر أنه لن يبلغ أحد بشيء وذهب للمقابلة و قام بالفحوصات و الاجراءات القانونية و غيرها اللازمة لتلك الرحلة، وتم تحديد اليوم بعد بضعة أيام.

التقى بعدد لا يتخطى العشرون شخص في تلك الرحلة حتى تم الاستقرار عليه هو و ثلاث آخرين، لم يتعارف عليهم بالشكل الكافي، فهو شخص لا يهتم بتكوين صدقات جديدة، يدرك وحدته و يقدرها.

ظل كل تلك الفترة وهو غير مدرك خطورة ما هو مقبل عليه ولا عواقبه، يعلم أن حضوره و غيابه لن يكونا ذات تأثير على حياة أحد فالاثنان سواء.

ركب المكوك و أنطلق بعيداً عن الأرض، شعر اولاً بانسحاب روحه من اسفل قدميه من شدة الصعود ولم يتجاوز كثيرا من الوقت حتى اعتاد جسده على تلك السرعة ورأى كوكب الأرض من الخارج.

فتحت أبواب حوله فخرج منها الثلاثة الاخرون وهم يضحكون و يسبحون في عالم بلا جاذبية أرضية، لكنه ظل مشدوهاً لذلك المشهد الجميل للكوكب الأزرق، وسحب الغلاف الجوي تحاول احتضانه لكنها لا تستطع.

وجد الفضاء به ضوء عكس ما قيل أنه أسود قاتم، فهو يشبه الليل تنعكس فيه أضواء الشمس على النجوم تماماً كأعمدة الانارة او ليل الصحراء عندما كان يذهب في رحلات السفاري.

وجد كوكب المريخ مرئي بالعين لكن على بعد كبير ميزه باللون الأحمر القاتم، وكذلك زحل بالحلقات الملتفة حوله من صخور و كويكبات.

ظل طوال الاسبوعين يتأمل و يسجل بصوته كل ما يرى، فليس لديه رفاهية التدوين كما كان يفعل على الأرض، سجل مشاهداته للكويكبات والنجوم، سجل عن انعدام الجاذبية و تجاربه في الإمساك بالأشياء السائلة وغيرها من الأشياء، ألا أن ظل يجول بخاطره ترى ماذا توقع الناس عن غيابه؟ وكيف سيكون اللقاء؟.

انتهت الرحلة أسرع مما توقع، لكنه اكتشف عند العودة أنه تأخرعن العالم أكثر مما توقع أيضاً.

رجع بيته في هدوء تام، وجد التراب يغطي كل شئ، كل المرافق مفصولة لعدم سدادها، لم يعنيه كل هذا أهتم بفتح حسابه الشخصي ليرى ماذا أرسل له و من بحث عنه؟

وجد أصدقاءه توقفوا عن الإرسال بعد عام واحد من الاختفاء، وسلمى تزوجت بعد نفس العام، و لكن قطعه صوت طرق على الباب لم يهدأ.

واذ بوالده هو الطارق، فتح رامي له و هو يتفحص أثر العمر على أبيه الذي كبر عشر سنوات على الأقل وليس ثلاث فقط.

-كنت متأكد انك راجع، أنك حي.

احتضنه بدموع فاضت كل شيء، تردد في أخباره عن الرحلة وقرر أن يقول أنه سافر لبلد آخر بحثاً عن عمل، لكنه سأله باضطراب

-هو مين قال اني مش راجع؟

- صحابك قالوا أكيد مش هترجع، و سلمى بنت عمك حاولت كتير تمنع الجوازة بتاعتها لحد ما فرح صحبتكم قالتلها أنك أكيد اتجوزت برا وعايش حياتك، فضلت منهارة ٦ شهور وفي الآخر وافقت واتجوزت.

- وأنت ليه كنت واثق أني راجع؟

-علشان روحك هنا، يمكن أنا معرفتش اكمل حياتي معاك بعد وفاة والدتك، لكن دا ميمنعش أنك فضلت عشرين سنة وحيدي و هتفضل سندي، اه البيت التاني خدني منك بس انت راجل وكنت عارف أنك هتعرف تعيش من غيري ولو احتجت حاجة هتلجأ لي.

خيم الصمت عليهم بعد تلك الجملة ليرحل والده و يتركه يراجع أفكاره و أولوياته، فالان تبدأ له الحياة مرحلة جديدة من الوعي الذي لم يدركه، فهم سبب تقرب فرح له وقت عدم تواجد سلمى، فهم بزواج والده، فهم أن دائماً هناك وجهة نظر آخرى لكل. شيء وكل شخص.

و أهم ما عليه البداية به، هو تدوين و تجميع كل ما حصل عليه في الرحلة ويستعد لصدور كتاباً جديداً له بعنوان "رحلة للفضاء الداخلي".

**نرجع للمشاهد**

**بس**

**المرة دي**

**غير....**

## المشهد الأول

في غرفة صغيرة تضج بالحياة في الخارج، يعم عليها الصمت والكآبة والخوف من الداخل، كان يجلس فهد على طاولة متواضعة أمام نافذة تطل على شارع الأهرام بمصر الجديدة، يمر من أمامها ذلك الترام العتيق، وأمامه مجموعة من الأوراق البيضاء، بعضها مكتوب به والآخر في انتظار أن تخطه يداه.

دائماً ما كان يستهويه مشهد عبور المشاة، ويظل يتأمله من تلك النافذة الصغيرة، يرى البعض يعبرون بسرعة جنونية للحاق بالترام، وكأن لن يأتي غيره، وبعضهم هائمون في الحياة، يعبرون بكل هدوء دون رغبة في الوصول لأي شيء. فهد صاحب الخمسة والعشرين عامًا، دائماً ما تميز بقوة الملاحظة وسرعة التنبؤ، برغم عينيه الهادئتين وبنيانه الجسدي الذي يتميز بالطول والنحافة، مشكلين معًا تناسقًا وجاذبية، ولكن قوة ملاحظته تلك كانت وسيلته لإدراك كل ما يمر ويحدث من حوله منذ أن بلغ الحادية عشرة من عمره.

لقد كانت هي السبب في فهمه كل محاولات الخداع التي تعرض لها، وها هي الآن تنبهه أن ربما ما سيخطه الآن سيكون آخر كتاباته، وقد لا يملك من العمر بقية.

مسك فهد قلمه بهدوء، مقررًا أن يكتب رسالة أولًا قبل التدوين، وبدأ: لقد علمت اليوم ما حدث بالتفصيل لسعد، أخي الأصغر ورفيق عمري، رأيت رأسه وحذاءه بعد ما يقرب من عام كامل من اختفائه، أخرجتهما بيدي من مستقرهما الذي اختاره شريف لهما، فهمت من نظرات أخي ماذا رأى وكيف قُتل؟، وأن دوري آتٍ لا محالة.

ترك القلم بعد تلك الرسالة، والدموع تهوي تفيض من مقلتيه على الأوراق، رفع رأسه ونظر من النافذة بعد أن سمع صوت الترام الذي اعتاده في أحلامه كل ليلة، شعر بنفس النفضة التي يستيقظ بها، تذكر كيف يستيقظ لاهثًا بعد أن يرى نفسه وهو نائم على ذلك السرير الصغير الموجود في الغرفة، وكيف لهذا الترام أن يقتحم عليه غرفته من تلك النافذة، ويفيق من نومه على صوت الجرس الخاص بالترام قبل أن يدهسه.

كانت تلك الغرفة هي اختياره التام لتكون نافذته على العالم، تذكره أنه حي، وأن هناك حياة بالخارج بها أناس غيره لديهم ما يحيون لأجله، يذكر في إحدى المرات أن زميله بالعمل قال له

-تلك الغرفة باهظة الثمن بالتناسب مع أجره اليومي الذي لا يكفي لثمن الغرفة وطعامه معًا ما بالك عن باقي مصروفاتك الشخصية وملابسك.

لكنه رد عليه وهو يعلم أن لا أحد غيره سيفهم رده

-هذه الغرفة هي التي تذكرني بمن أكون، وأن الحياة لا تنتظر أحد كذلك الترام.

يعلم فهد جيداً أن هذا الحلم لم يكن رفيقه سوى قبل شهرين فقط، في حين أنه يسكن تلك الغرفة منذ ١٠ أشهر وبضعة أيام، لكن حين رأى شريف وهو يخرج من بوابة شركته التي تقع على بعد خطوات من ذلك الفندق والغضب يتطاير حوله كأشعة الكهرباء والسائقه يفتح له الباب ليجلس في المقعده الخلفي في السيارة ثم ينطلق مسرعًا ليتأكد فهد على وجود كارثة جديدة لشريف تضاف إلى سابقتها في قائمته التي لا تنتهي.

## مشاهدة أولى

هل كانت تلك مشفى من الأساس؟

كان ذلك هو السؤال الذي روَّضَني منذ أن وضعني أبي هنا. نعم، أبي هو من أدخلني ذلك المكان وأنا في عمر لم يتعدَّ العاشرة. لا أدري سبب وضعي بهذا المبنى المتآكل الذي سكن الصدأ والرطوبة جوانبه.

أتذكر يوم أوصلني أبي ودخلنا معًا من البوابة الكبيرة، كيف مررنا بتلك الأرض القاحلة. يقولون عنها حديقة، لكني لا أرى سوى حشائش صفراء ماتت من الجفاف وأشكال تساقطت أوراقها، فأصبحت تثير الرعب أكثر مما تثير الجمال. مررنا من البوابة الداخلية، ورائحة الدماء والصدأ تغطي أنفي، أتشبث به راجيًا عينيه ألا يتركني هنا.

منذ وفاة أمي وأنا لا أملك في الدنيا سواها، واعتقدت أنه لن يتركني. يوم دخلنا غرفة تساقط عنها لونها لتصبح مرقعة بين الأصفر والرمادي وبعض البقع الزرقاء، وغالبًا كان هذا هو لونها الأساسي، وجدته أمامي في ذلك اليوم ممرضة ترتدي زيها الرسمي، ولكنه مُلطَّخ بدماء، بل الدماء يتساقط عن مريولها وهي واقفة ولا يلتفت أحد لتلك الدماء.

جذبتني من يدي بعد أن تركها أبي وأنا أحاول التشبث به، ولكن بلا فائدة. أخذتني إلى غرفة لا تختلف كثيرًا في تلوثها عن سابقتها، ولكنها خاوية إلا من سرير معدني يعلوه غطاء سميك ووسادة صغيرة. قطرات الدماء هنا على الحائط، وعلى الأرض، وعلى الغطاء.

الصدأ تغلغل ورائحة من السرير، ومن النافذة ذات الأعمدة والزجاج المكسور الذي لا أعلم كيف ظل متماسكًا مكانه كل ذلك الوقت. أخذت ملابسي، وخرجت من الغرفة بعد أن جعلتني أرتدي جلبابًا أبيض كان في يدها ناصع البياض، ولكن ما إن ارتديته حتى تحول لونه إلى اللون الرمادي، وأصبحت عليه بقع دماء هو الآخر، لا أعلم من أين مصدرها. أغلقت الباب خلفها، وكان مكتوبًا على رقم الغرفة الرقم ١٣. وقفت أمام النافذة أنظر إلى أبي وهو يرحل، كيف لم ينظر خلفه حتى

ليودعني؟ لكني رأيت انعكاس وجهي في واجهة الزجاج، كيف تحول وجهي لشبح باهت اللون تحيط عينيَّ هالة سوداء تثير الرعب.

من هذا أنا لست كذلك؟

## المشهد الثاني

مسح فهد عينيه وأغمضهما ليعود بالذاكرة إلى عمر الحادية عشرة، حين كان يعيش في منزله الكبير مع أخيه سعد ووالديه. لم تفارقه قط تلك الصورة المحفورة في ذاكرته: ذلك البيت الكبير الملحق بحديقة واسعة، تزهو بأشجار متنوعة الثمار. ووالدته تهتم دائمًا بأن تُطعم منها الفقراء، قائلة:

-إن الله رزقهم هذه الثمار ليطعموا بها من لا يقدرون على ثمنها.

كان المنزل الكبير المكون من ثلاثة طوابق يضج بالحياة؛ في الدور الأرضي كانت توجد غرفة مكتب والده وبهو كبير مفتوح لا يضم غرفًا أخرى، وفي الدور الأعلى كان جناح والديه الخاص، أما الدور الثالث فكان مقسمًا إلى جناحين كاملين له ولأخيه سعد. شعر فهد أن روحه تطوف في ذلك المنزل الآن، أنه يرى الآن والدته التي كانت تهتم بحديقة المنزل بكل حب، بينما كان الأب شاهين يراقبها دائمًا من نافذة مكتبه في الطابق الأرضي، وهي تعتني بالحديقة دون مساعدة، وكذلك كان يراقبه هو وسعد وهما يلعبان بمرح أو يذاكران بجدية أحيانًا ولهو أحيانًا أخرى بجوار منى والدتهم في تلك الحديقة.

استفاق من ابتسامته التي نمت على وجهه وتحولت ملامحه إلى الغضب الشديد حين تذكر كيف كانت زيارات عمه شريف تثير دائمًا الضجيج والشجار، سواء بين عمه وأبيه أو بين أبيه وأمه. أصوات الجميع مرتفعة في غرفة المكتب، كان يسمعها بوضوح وهو في الرابعة عشرة. سمع والدته وهي تقنع والده بكتابة الأملاك باسمها للحفاظ عليها من غدر العم، وضمان مستقبل فهد وسعد، وحماية ما يمكن حمايته.

كيف قالت لشاهين:

-لو كتبتهم بأسماء الأولاد فالخطر لن يتركهم، سيقتلهم شريف، لكن أنا لن أستطيع فعل شيء لي.

يذكر جيدًا كيف بدأ الأمر بذلك الطلب من منى، لكنه تحول إلى معركة تكافح فيها للحفاظ على حق ولديها من بطش العم.

شريف، الأخ الأكبر لشاهين، الذي لم يتصرف يومًا كأخ أكبر؛ كان الطمع هو المسيطر عليه. يرى أموال جدي ياسين حقًّا مكتسبًا له، يأخذ منها ما يشاء لينفقه بشتى الطرق، دون اعتبار للعمر الذي أفناه جدي في جمعها أو الجهد الذي يبذله أبي في المحافظة عليها.

بدأ الشر يظهر عندما باع شريف الكثير من الممتلكات دون علم جدي، لكنه لم يتحمل خبر إدمان ابنه الكبير لألعاب القمار ولا محاولاته للتجارة غير المشروعة لكسب المزيد من الأموال، وأنه يستخدم شحنات والده التي تسافر في كل مكان لنقل كل أشكال الممنوعات وتسيير أعماله غير المشروعة. يذكر فهد جيدًا كيف كانت صدمة وفاة جده على الجميع، وكيف حاول شاهين التماسك، وكيف لم يظهر شريف عمه سوى يوم إعلان الوراثة.

كان ذلك أول شجار يحضره الجميع، وكان محتدًا بينه وبين المحامي الذي اتهمه بالفساد والتزوير ليحول الميراث بالكامل باسم شاهين، وعدم ترك سوى الفتات منه على حد قوله له. لطالما حاول أبي إبعاد أخيه عن أسرتنا، وكانت أمي مدركة لذلك، لكن هذا كان المدخل الذي حاولت من خلاله الدخول إلى أبي ليوافق على طلبها، وقد كان. كتب الشركة والمنزل والسيارات لها لتحافظ عليها من أجلنا.

استفاق فهد من بحر ذكرياته وفتح عينيه ليمسك بالقلم مرة أخرى ليدون بعض المشاهد التي تجولت في خاطره، لا يعلم لماذا يدونها؟، لكنه يدرك أن تلك المشاهد ستظل محفورة بداخل ذاكرته، ولربما يأتي يوم يقرأها غيره فيفهم منها مصير تلك الأسرة التي يعلم جيدًا أنها انتهت، وأن وجوده أمر لا بد له من نهاية قريبة وليست بعيدة.

# تدوينة

كانت تجلس أمام أبي في مكتبه، تحدثه بهدوء وكبرياء وإصرار كعادتها، لكن نبرة كلماتها كانت مختلفة هذه المرة؛ تخبره أنها قررت الانفصال، كانت تخلع خاتم زواجهما وتضعه في يده. كان ينظر إليها بعينين غير مصدقتين لما ترى أو تسمع، ولم يدرك حتى السبب، فقد فعل كل ما أرادت، وثق بها وأخذت كل شيء. كنت في الخامسة عشر وأخي الثانية عشر، نقف أمام باب غرفة المكتب غير المغلق بالكامل نسمع حديثهم ونرى خيالهم بالداخل.

أتذكر حتى ذلك الفستان الأزرق المفضل لأمي الذي طالما تغزل أبي فيه بالكلام الجميل المنمق. اختارته بالتحديد لتجلس به أمامه الآن معلنة الرحيل. لقد مرت بضعة أشهر فقط على نقل الممتلكات التي طلبتها باسمها، ولم أعلم حينها أن أباها كان قد نقل كل شيء لها، ليست الشركة فقط، فهو لم يتوقع منها يومًا أنها ستغدر به مثلما يحدث الآن.

أرى أبي جيدًا وتلك النظرة غير المصدقة لهذا الكم من الغدر والخيانة وهي تنطق كلماتها تلك دون أن تحرك عينيها عن عيني أبي، الذي لم ينطق بكلمة واحدة حتى. أتذكر كيف أخذ خاتم زواجهما وخرج، لم يتكلم ولم يعد. كنا نسأل عنه وكأننا لا نعلم ماذا حدث، فيكون الرد: -لقد سافر للعمل وسيغيب طويلاً.

## المشاهدة الثانية

هذا ليس أنا رفضت الطعام في أول أيامي مقتنعًا بأن أبي لن يتركني وحتمًا سيعود حتى استمعت إلى حوار الممرضة في اليوم الثالث لي وهي تقول لزميلتها:

- "ذلك الطفل الجديد الموجود بالغرفة رقم ١٣ يرفض الطعام ظنًا منه أنه سيخرج مرة أخرى، لا يدري أن من يدخل هنا لن يخرج، وأن من يدخل ذلك المنزل المسكون لا مصير له سوى هنا".

لا أدري عن أي بيت مسكون تقصد، ولكن توقفني عن تفكيري عندما استطردت حديثها وقالت:

-"سيعتاد الوجود هنا وسيأكل مثل تلك الفتاة العشرينية التي وصلت قبل أسبوع، ظنت هي الأخرى أنها ستستطيع النوم مرة أخرى بعد دخولها نفس المنزل، وها هي الآن تجاوزت الأسبوع متيقظة بعينين لن يزورهما النوم قط دون تناول تلك الأقراص المنومة، فعندما ترفض تناولها يطاردها الجاثوم طوال الليل، حتى إنها مؤخرًا منذ يومين أصبحت تنام أسفل السرير متيقظة العينين حتى لا يزورها، ولكنه لا يتركها تحكي يوميًا في الصباح كيف رأت نفسها وهي تطفو في رحاب سقف الغرفة، وكيف كانت مكبلة اليدين والقدمين والرأس سواء على السرير أو على الأرض، لا تقوى الحراك أو الصراخ، فلا تنام ولا تتنفس حتى تحولت إلى شبح، ربما يفصلها عن الانتحار أو الجنون أو حتى الموت أيام قليلة".

تملكني الرعب والفزع الذي لا يوصف.

جلست أتذكر ماذا حدث لي في الأيام السابقة.

لماذا انتهى بها الحال هنا؟

## المشهد الثالث

فرت دمعة جديدة من عينيه وهو يكتب، لتترك أثرها على الورقة وقلبه معًا تلك المرة. حاول أن يستجمع نفسه لعلمه أن رؤيته لما تبقى من أخيه لن تجعل الوقت المتبقي له طويل الأمد، لذا عليه أن يحاول كتابة كل ما يجول في خاطره وكل ما يريد أن يعلمه من حوله أو من سيقرأون تلك الأوراق يومًا ما، سواء في القريب أو بعد حين.

كان لاختفاء شاهين من حياة أبنائه صدمة لم يملكوا الوقت لاستيعابها ولا استيعاب تلك العقدة التي فرطت حباتها من الصدمات التي توالت على حياتهم. توالت الأحداث بسرعة تفوق قدراتهم النفسية والعقلية، فهم الآن في سن المراهقة، وفجأة سمعوا حوارًا يدور بين والدتهم وعمهم غير المرغوب به في حياتهم، وهم يتفقون على الزواج.

تذكر فهد الآن خلال كتابته كيف اقتحم مجلسهم حينها وسألها بصوت تخنقه الدموع:

- "أين أبي؟"

لتجيبه بهدوئها المعتاد:

- "إنه قرر الرحيل وترككم".

لم تكن منى تدري أن فهد يعلم كل شيء، وأنه سمع ورأى كل ما مضى على مدار العامين الماضيين. ليأتيه رد آخر من عمه يخبره: «أبوك تحول لمجنون، من المجاذيب الذين يجولون الشوارع، لا يملك قوت يومه، يتحدث مع الطير يتقاسم معهم طعامًا وماءً في الشوارع منذ شهرين، وأنه سيتزوج من والدتهم بعد أقل من شهرين، وعليهم أن يعتادوا وجوده بينهم سواء شاؤوا أم أَبَوا».

بكى فهد بشدة، أراد البحث عن أبيه. خاف أن يخبر سعدًا بما سمع وحدث، لكن عمه كان مُحِقًّا للأسف. بعد أقل من شهرين تزوج شريف من طليقة أخيه بعد انتهاء فترة عدتها بيوم واحد.

كان فهد وسعد ينظران إليها غير مُدركين ما تفعله والدتهما، كيف لها أن تتزوج عدو أبيهما وأخيه في آن واحد، لكن الحقيقة هي أنها أيضًا كانت تنظر وكأنها تحت وطأة سحر ما أو تهديد غير معروف.

كان كلٌّ مُدركًا أن هناك شيئًا غريبًا في هذه الزيجة يثير الريبة، ليكتمل الوضع سوءًا بعد أسبوع واحد بخبر وفاة شاهين والعثور على جثمانه في إحدى الحدائق العامة، وأن الطيور هي التي أرشدت عنه. تلك الطيور التي عاش معها الأشهر الثلاثة الماضية هي التي عرفت بوفاته قبل أولاده، ليدخل شريف غرفة نوم شاهين وهو يضحك بهستيريا لم يرها أحد من قبل ويقول لمنى:

-مات شاهين في الشارع، أخيرًا.

عمت الصدمة كل من في المنزل، لم يراعِ شريف أين يحتفل بموت أخيه، أنه يحتفل أمام أولاد المتوفى، وأمام زوجة المتوفى، وفي منزل المتوفى، بل إنه أخو المتوفى.

لم يراعِ أي شيء، بل أكمل وهو يضحك:

-«إن الشرطة اتصلت به وأبلغته أنه تم العثور على جثمان شاهين في إحدى الحدائق، وإنه طلب منهم دفنه في مقابر الصدقة لكونه لا يمتلك مقابر ليدفن بها».

## المشاهدة الثالثة

تذكرت عند مروري من أمام ذلك المنزل الجميل، أو القصر كما يسمونه، وكيف كنت أقف أمامه كل يوم عند الذهاب والعودة من المدرسة، أشاهد جمال حديقته وشرفاته ونوافذه، وكيف أراه دائماً منمقاً والحديقة مهندمة، حتى الطلاء لم يمسسه التراب يوماً.

كنت أتخيل شكلي من الداخل في كل يوم، حتى قررت في يوم أن أدخل وأراه من الداخل. فأخذت ذلك المصباح الزيتي الخاص بأبي في النهار، وانتظرت حتى نام من في المنزل، وهو أبي فقط بالطبع، وخرجت متسللاً قاصداً ذلك القصر. وقفت أمامه مذهولاً من جماله، مررت بالحديقة، ثم وصلت إلى الباب الكبير، فبمجرد أن لمسته، فتح، وإذا بي في بهو كبير وجميل ممتلئ بالزخارف والتحف والأثاث اللامع الذي لم ترَ عيني مثله من قبل. كان الطابق الأرضي يحتوي على ذلك البهو ومطبخ كبير تخرج منه رائحة الطعام الشهي لتغطي على أي رائحة أخرى بالمكان. وجدت أمامي السلم الذي يقود إلى الطابق العلوي، فصعدته، وكان مزيناً بلوحات فنية لم أفهمها، لكنها جذبت انتباهي إلى حد بعيد. ظللت أنظر إليها حتى وصلت للطابق العلوي، فوجدت نفسي أمام ممر مليء بالغرف، لم أستطع حصر عددها قط، حتى إني ظللت مشدوهاً بين طول الممر من الداخل وحجم القصر من الخارج.

دخلت العديد من الغرف، وكانت كل واحدة منهم تحوي سريراً ودولاباً ومكتباً والكثير من الكتب والكثير من الألعاب، لكني رأيت الاختلاف بينهم في أن لكل غرفة لوناً مميزاً، بعضها أبيض ناصع.

بياض وأخرى زرقاء مثل السماء، وأخرى خضراء بلون حشائش الحقيقة، وكذلك تلك بنية كلون خشب الأشجار، حتى إني رأيت غرفة كان كل ما فيها باللون الأسود. لا أعلم كم مرة من الوقت أمضيت بالداخل، لكن عندما استيقظت وجدتني نائماً أمام القصر في الشارع، وأبي يبكي وهو يسمع كلام المرة، والواقفون حولنا يبلغونه بضرورة وضعي في تلك المشفى وأنه لا أمل لي مرة أخرى. كانوا كثر لدرجة أنهم غطوا ضوء الشمس، ولم أعلم أننا بالنهار لولاهم. منهم رأيتهم يتشحون بالسواد جميعًا، كما يقفون على رأس ميت.

## المشهد الرابع

مسكت القلم وأعاد كتابة ما تذكره الآن بكل تفاصيله

بمجرد أن سمعت أمي ما قاله عمي حتى وجدتها انفجرت. لم تكن بذات النظرة من قبل، تحولت لوحش كاسر يحطم كل ما يجد في متناول يدها، أو ربما مثل من كان نائماً فاستيقظ على كابوس تمنى لو أنه انتهى أثناء النوم ولم يتحول يوماً إلى حقيقة. ظلت تصرخ بكلمات متقاطعة:

- كيف مات؟ ذنبه برقبتك! أباكم مات من الظلم! أنا لم أخُن! أنت السبب، أنت سارق، أنت قاتل، أنت من هددتني بحياة أبنائي، والآن قتلت أخيك، أباهم وزوجي!

كنا في حالة ذهول مما تقول أمي، ومن تلك النظرة المليئة بالكره والصمت الصادرة من عمي الذي اصطحبها من يدها وذهب بها لغرفتهم أو لغرفتها هي وأبي سابقاً، وأغلق الباب. لم نسمع صوت أمي بعدها لمدة ثلاثة أيام، كما لو أنها أقامت الحداد على نفسها لوفاة أبي.

تركتني أنا وسعد في حالة حزن وتوهان، لا ندري ماذا علينا أن نفعل؟ لقد صرنا يتيما الأب ولا ندري أين أمنا. عمي لا يذكر وجودنا معهم في نفس المنزل، ونحن لا نريد رؤيته. خسرنا نحن الاثنان كل شيء في لحظة.

خرجت أمي من سُباتها ومن غرفتها شاحبة الوجه، ضاعت من ملامحها ملامح الحياة بشفاه بيضاء وعينين قد تكونان بكتا دماً من كثرة الاحمرار الموجود بهما. خرجت من غرفتها تبحث عنا أخيراً لتجدنا نحتضن تلك الصورة التي جمعتنا معاً آخر مرة وقت الاحتفال بعيد زواجهم الأخير.

جلست معنا لتخبرنا أن شريف هددها بقتلنا لو لم تقنع أبي بكتابة كل ما يملك لها، وأنه حكم عليها بعد ذلك أن تتطلق منه ليتزوجها، كيف يرى أن المال أبانا حقه؟ وأن هذا لم يكن يوماً صحيحاً، وهذا عمر أبينا نحن.

علمنا أنها فعلت كل ما مَر لتحافظ علينا من شر شريف، لكنه أطلق شره على أبانا فقتله دون قطرة دم واحدة، قتله بالحسرة والحزن، وأن أمي نقلت ملكية الشركة والمنزل لي ولاخي وأعطت له حق

الإدارة لحين بلوغنا السن القانوني، وأنه لا يعلم ذلك حتى الآن ويظن أن كل شيء باسم أمي، وأنه سيحصل عليه عما قريب، لكن أمي لم تشعر بما هو آتٍ.

## المشاهدة الرابعة

قطع تفكيري وأنا داخل الغرفة ومحاولاتي للفهم، فتاة غاية في الجمال تطرق باب الغرفة وتفتحه بهدوء.

لا أجد أمامي شابة أعتقد أنها لم تتجاوز ١٨ بعد، تقف أمامي مرتدية معطفاً أزرق طويل ونظارة نظر ذات إطار دائري كبير بالنسبة لوجهها الصغير. لم تصدر صوتاً أو حركة، بل ظلت واقفة تنظر إلي من بعيد بتمعن، وترتسم على وجهها ابتسامة ليست صافية.

شعرت بالريبة والقلق منها.

هي لم تنطق وأنا كذلك، فقط تبادلنا النظرات بين خوفي وتَمَعُّنها لي، حتى رأيت نصف وجهها يتحول بالتدريج ليشبه ذلك الوجه الذي رأيته في الفيلم الأسبوع الماضي عندما اصطحبني أبي إلى السينما. لا أتذكر اسمه، لكنه كان وجهاً تعلوه ابتسامة كبيرة يفعل بعدها الممثل الكثير من الأفعال الشريرة الشيطانية.

ولكن مهلاً.

## المشهد الخامس

لم يمر أكثر من شهر حتى كانت أمي في الصباح نائمة على السرير دون حراك، يعم جسدها البرودة والشحوب. رحلت مسلمة راحة لأبيها ليتركنا وحدنا في مواجهة عمي. سمعت أقاويل كثيرة، منها أنها ماتت من الحزن على أبي وشعورها بالذنب، ومنها أن عمي هو من قتلها، ومنها أنها انتحرت، ومنها الكثير والكثير من الأقاويل. الأقاويل التي لم يراعِ من يقولها أن أبناءها الشبان الكبران يتركان كل ما يحدث، وأن كلامهم يزيد النار الموقدة بداخلنا اشتعالاً.

مرت مراسم الدفن وما تلاها من عزاء دون أن يصدر منا صوت، حتى خلا المنزل من زواره. وجدته يقف وبيده سيجارته أمام صورة أمي المعلقة بالطابق العلوي ينظر إليها وعلى شفتيه ابتسامة لا أدري سببها، ولا أستطيع أن أقول إنه كان سعيدًا بموتها ولا حزينًا. كانت وقفته توحي أنه يتحدث مع الصورة، وما إن شعر بوجودي حتى نظر لي نظرة ثاقبة اخترقتني، وثقت بعدها أن الآتي لن يكون هيّنًا.

تجنب التعامل معي ومع أخي لما يزيد عن أسبوعين، وما إن تذكرنا حتى أخبرنا بضرورة المرور إلى الشركة، فالمحامي الخاص بها يريد وجودنا لإنهاء إجراءات الميراث.

لن أنسى نظرته وابتسامته الصفراء عندما علم بما فعلته أمي، وكأنما كان يتوقع ما حدث.

لم ينبث بكلمة واحدة، كان الهدوء والصمت يكلفان المكان بالكامل. وصلنا بعدها إلى المنزل ليعرض علينا المال مقابل الشركة والبيت.

وعندما نظرت لأخيه وابتسمنا معًا وقلنا: أين سنذهب إن تركنا كل شيء؟ رد بهدوء: حسنًا، أشتري منكم الشركة وأترك لكم ما تبقى.

رفضنا عرضه، وأنا واثق أنها لن تكون المحاولة الأخيرة، ولكن أخي وثق أنه سيحافظ على المال وطلب منه أن يعاونه في العمل، وكانت تلك هي الفرصة التي تمناها عمي حينها وأحسن استغلالها.

## المشاهدة الأخيرة

كيف لنصف وجهها أن يتحول كذلك؟ آه، ماذا حدث؟ أين أنا؟ كم مضى من الوقت؟ جسد من هذا؟ كم عمري؟ لماذا أنا كبير للغاية؟ ذلك الجسد لا يقل عمره عن الثلاثين؟ كيف، ومن تلك التي تقف أمامي؟ إنها ليست الممرضة التي أعرفها، ولا ذلك المكان الذي كنت فيه، فهذا أكبر بكثير، ولا يحوي تلك القذارة والدماء. كانت تلك أولى الأسئلة التي خطرت ببالي عندما فتحت عيني وأنا أتدارك جسدي، لكن هناك شيئًا تمسكه بيدها تلك الواقفة أمامي وتضعه على أذنها وتتحدث من خلاله، لا أسمعها بجلاء لكنني أدركتها تقول: «أفقتَ؟ غيبوبة؟ هلوسات؟»

ما هذه الكلمات؟ وما هذا الجهاز؟ وأين أنا؟ أصدر شيء ما بجانبي صفيرًا جعلها تنظر إلي وترسم الابتسامة على وجهها وتقول:

- أستاذ مراد كاتبنا العظيم، حمدًا لله على سلامتك، أنت كنت في غيبوبة منذ أكثر من أسبوع بعد زيارتك لتلك القرية المهجورة في الصحراء الغربية.

هل كنت تبحث عن فكرة لروايتك الجديدة؟

-أنا...؟

## المشهد السادس

أرسل أخي للقاء بأحد الأشخاص في دولة أخرى والرجوع معه إلى هنا، ولكن أخي ذهب ولم يعد.

أذكر كيف دخل شريف غرفتي وهو يصرخ

-اخوك هرب، خد الفلوس و هرب مش راجع، وأنا أطلع برا ملكش حاجة عندى.

ليريني بعدها توكيل مزور بتوقيعي انا و أخي و بيع كل شيء له، خرجت بلا شيء حتى الجامعة لم أكملها، نمت بالشوارع الجانبية للشركة حتى عثرت على عمل بأحد المطاعم وفرت من يوميته ما يكفي لإيجار تلك الغرفة.

لتذكرني أني حي، وأن شركتي و عمي أمامي حتى لا أنسى من أكون يوماً ؟.

كان هناك يقين داخلي أن أخي لم يهرب ولكن كيف سأعثر عليه.

السائق.....

هو بداية الطريق، هو من اصطحبه للمطار على حد قول عمي لكني على ثقة انه لن يتحدث ألا بالتهديد فتلك اللغة التي يتحدثون بها، وليكن.

ما من أب لا تكون أبناءه هم نقطة ضعفه، تتبعت اولاده الاثنين ووجدت أن أصغرهم لا يزال في المدرسة الابتدائية، اختطفته لساعات ليأتي السائق و يصطحبني إلى منزلي القديم دون أن ينطق بكلمة واحدة.

لم ادخله منذ عام ومن الواضح أن لا احد يدخله أيضاً، لم أفهم لما اتى بي الى هنا حتى بدأ الحفر تحت تلك الشجرة و طلب مني أن أكمل أنا و رحل.

لتصتدم يدي بحذاء سحبته وانا أتمنى أن يكون ذلك كابوساً ولكنه حذاء أخي و تحته توجد رأسه.

نعم مفصولة عن باقي الجسد ولم تتحلل ولا اعلم السبب ولم أفكر، تركز نظري على عينين أخي وهما يحكيان كم الرعب والخوف الذي عاشه قبل موته و بعده.

جلست أمامها صامت، عقلي لا يعرف كيف يعمل وماذا يجب أن أفعل؟

استجمعت شتات قوتي و ذهبت لأقرب هاتف بالشارع و حادثت الشرطة مبلغا عن رأس أخي و أغلقت عائداً لغرفتي وأنا أعلم أنها مسألة وقت ليس ألا.

كان صوت فتح الباب بعنف كفيل ليقف فهد عن تدويناته، ويكون الرصاصة النافذة من المسدس المصوب نحو رأسه أسرع من استيعابه أن نقطة النهاية كتبت بالفعل.

**النهاية**

**عندما كان مراد يبحث عن فكرة لرواية جديدة، كانت روحه تطوف في القرية المهجورة تارة و تارة في ذلك الخبر الذي قرأه لا يذكر أين ولا متى لكنه ظل مطبوع في ذاكرته.**

**"العثور على رأس و حذاء مدفونان أسفل شجرة برتقال بحديقة منزل يأكل ثمارها الفقراء."**

**تمت.**

لمتابعة الكاتبة عائشة عمارة على الفيسبوك:

/https://www.facebook.com/share/1D8uzRbqof

**لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:**

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

**لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:**

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023